

المجلة

مجلة البحوث في العلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشؤل

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نعم المند ١٥ ملها

البرقيات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٨٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

مسألة الجنسيتين

للأستاذ عبد العزيز جادو

الفهرس

نستعير هذا العنوان من الأستاذ العقاد لنتكلم في هذا الموضوع من وجهة نظر أخرى يحتمل أن يكون لها اتصال وثيق بما كتب الأستاذ الكبير ، وربما تكون متممة لبحثه من الوجهة السيكولوجية والبيولوجية معاً . فن رأينا أن حركة الأنوثة تستهدف ثلاثة عوامل هي من الأهمية بمكان : (الأول) أنها في حاجة إلى أي ظاهرة متيقظة Conscious ؛ و (الثاني) أن قوتها الشديدة لا تزال تكمن في قسمين محكمي السد : السيكولوجيا الأنثوية القديمة التي عليها يترتب ضعف الأنثى مدى حياتها ؛ والسيكولوجيا المعنيفة الحديثة ، ويدخل التحصيل Achievement من ضمن فروعها . . . وهاتان لا يمكن أن تتزجا بحال ؛ و (الثالث) حركة الأنوثة ويموزها البرنامج الثابت الذي يحسب للذكر حسابه . ولا يمكن أن ينجح أي برنامج اجتماعي أو سيكولوجي ما لم يكن مشتملا على اشتراطات أو نصوص لكل جماعة اجتماعية وسيكولوجية في حدود اختصاصها . . .

قام جماعة منذ حين بدعوة رموز من ورأها نشر ما يسمونه مذهب العُمرى ، وأُسموا لأنفسهم أندية كانت تعرف بأندية

صفحة	
٦٦١	مسألة الجنسيتين .. : الأستاذ عبد العزيز جادو ...
٦٦٥	الأدب الأفريقي في عصر { الدكتور محمد مندور ...
٦٦٨	أحمد رامي ... : الأستاذ دريني خشبة ...
٦٧٠	« داعي الدعاة » مناظر المعري : الدكتور محمد كامل حسين ...
٦٧٣	حول بث القديم ... : الأستاذ محمد خليفة التونسي
٦٧٦	فساد الطريقة في كتاب { الأستاذ محمد أحمد النعراوى
٦٧٨	إلى الأستاذ بشر فارس ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٦٨٠	وبل للفلسفة من الناس ... : الأستاذ ذكريا إبراهيم . .
٦٨٠	إلى الدكتور محمد مندور ... : الأستاذ محمد خليفة التونسي

الحمل ، وربما ترجع إلى الحوادث الشهرى فى الأنثى البشرية (الحيض)

ولو أن الحيوانات الذكور من أى نوع يمكن أن تحوط
الأنثى التى من صنفها بيئة من الضعف ، أو بشىء مضعف ،
ترى الأنثى تحت أضرار الحمل تنسل . والحيوانات الذكور ،
على الأقل ، تستعملها الأنثى عند ما تكون متأثرة بانفعال
أو تأثر . والجهاز يعمل جيداً إذا كنا حيوانات راقية . ولكن
الزمن هو الذى جعلنا ننتج مقداراً كبيراً من الأناسى بتحسينات
فى المبادئ الأساسية ، وتمحيصات للعمل والمظهر أكثر مما
لو كنا نعمل فى إنشاء السيارات وإصلاح الأطارات وتحسين
الإنارة كلها واجهنا ضرورات الحياة الحديثة والنظم المبشورة

لنكشف عن خلايا النطفة أولاً : خلية الأنثى كبيرة ،
مستديرة تحمل غزناً صغيراً من الغذاء ، كما تحمل عدداً معيناً
من الأمشاج Chromosomes . وخلية الذكر أصغر كثيراً ،
مستطيلة ، لا تحمل غذاء ، ولها ذيل عائم ، تحمل عدداً مماثلاً
من الأمشاج التى تشمل نماذج فيزيقية وعقلية لأسلاف الجنين .
وحينما تتقابل هاتان الخليتان بطرحان مختلفين ويجددان ترتيب
مادتهما اللقاحية إلى أن ينماتا تماماً عند ما يتدفقان معاً ويبداً
واجهما المادى فى تقسيم الخلية

والجنس على الأرجح مثل الشعر يميل إلى السرعة حينما
يتم توافق الأمشاج . وعلى أى حال لا يمكننا أن نفرز جنس
الجنين حتى الأسبوع الخامس أو السادس من تكوينه ، غير
أن هناك من يزعم معرفة الجنس لـ شكل الخلايا . على أن حقيقة
الذكورة أو الأنوثة تربطاً باختلافات واضحة حتى فى رحم الأم .
وكذلك فى أى جهاز للتناسل . فعلى أن نعمل ما ازدراء
نيكوديموس Nicodemus ، وهو أن ندخل مرة أخرى فى بطون
أمهاتنا ونولد ثانية لنؤرخ الميلاد من وقت وصول خلايا النطفة
إن مدة الحمل فى الذكر تقل يومين عن الحمل فى الأنثى ،
وذلك لأن الذكور أشد تحولاً Metabola من الأنوثة . واشتغال
نمو الجنين يسير بسرعة ونشاط أكثر . والطفل الذكر أنقل فى

المرأة . بيد أننا لا نعرف غرض تلك التفرقة تماماً ولا ما
يقصدون من هذا العرى . ومع هذا فنحن نقول هنا : هيا
تجرد من ملابسنا المعنوية جميعاً ، سيكولوجيا وبيولوجيا ،
طارحين وراءنا القيود الجنسية والاعتبارات الأخرى ، ليرى
ما هذه المادة التى بأسفل هذا الحيوان الذى نسميه امرأة ،
سواء أكانت مسترة بنبات الخللج أم بأوراق التين ؟ وهذا
الحيوان الذى نسميه رجلاً ، سواء أكان مستوراً تحت ستر
سرمدى أو سروال

من المحقق أن جهاز التفكير ، جهاز « حالات الشعور
مثلاً » الذى أنتج بضعة أسماء عظيمة كسيكولوجية الأنثى ،
كان يجب أن يهمل من مدة بعيدة . والمرأة بالرغم من حريتها
لا تزال مولعة بأعمال الخدم ، فهى تمضى أكثر وقتها
فى المطبخ تعمل فى غسل الأواني . وإذا تأقت كانت دمية .
والذكر أبناً كان لا يملك سوى دقيقة واحدة يحضنها معها
عند ما يؤثر عليها بطريقة أو أخرى

والحياة كلها استجابة للبيئة . والوراثة ما هى إلا حركة
انتقال Transmission لتجارب بيولوجية عالقة بالذاكرة .
فالمرأة استجابت لبيئتها بما نعرفه عنها كامرأة ، وملابس
الضعف انتقلت فى خلايا النطفة فى أمشاج كلا الجنسين . وهى
لا يعوزها إلا أن تغير بيئتها لتغير استجابتها ؛ وهى لا تحتاج
إلا أن تُعاد ولادتها سيكولوجياً كي تتحو العوامل المتناقضة
التي تصدّها وتقيدها

والمرأة فى أمريكا ربما يكون لها النفوذ والكلمة العليا .
والرجل ربما كان مجرد (حصان) ينقل الأحمال ... ولكن
كيف تكونت المرأة على هذه الحال من الضعف ، والنمو ،
واللطف ؟ إن أحداً لا يعرف الجواب الصحيح ، لأن هذا كما
يقول الأستاذ العقاد من وراء سلطان العلم والعلماء . ولكن
هناك من يقول إن هذا راجع إلى نماذج الجنس فى مراكز
خلايا النطفة . وهناك أيضاً من يقول إنه يرجع إلى وظيفة

ولكن لأنه يحافظ على ضغط الدم المناسب ، ويقف خفقتان القلب عند حده . أما الرجل فإن له مشدداً متوزناً من العضل في حاجزه البطنى ، وهذا يمدد بضغط دمه العالى ، ودقات قلبه البطيئة . ويبدو هذا واضحاً غاية الوضوح عندما نذكر أن الحزوز البطنية الممتدة تكون في بعض الحالات سبباً لصدمة جراحية لا يكون الجراح مسئولاً عنها

والرجل والمرأة في اختبارات الذكاء متساويان ، ولكن المرأة تتأخر في التحصيل ، لأنها في حاجة إلى قوة Stamina توصّلها إلى أطرافها . وإن تحولها البطيء ، وحاجزها البطنى الضعيف هما المائتان الرئيسيان لبلوغ تمام القوة

والنقطة الأخرى هي أن الأمراض التي تتعرض المرأة لها تدل أيضاً على أن تحولها أقل قيمة ، في حين أن الأمراض التي يكون الذكر مريضاً لها تشير إلى أن هناك تحولاً يعمل زيادة عن المقرر . ومن رأى «ماك ليود» أن تحول الأنثى أقل من تحول الذكر بنسبة ٦٨ ٪ . ولقد وجد «ألفاريز» من دراساته في ضغط الدم أن ضغط الدم عند الذكر أعلى مما هو عند الأنثى بـ ١٦٥ ملليمترات . ويعرف كل شخص أن دقات قلب المرأة أسرع منها في الرجل . وبالطبع يجب علينا أن نتأمل الغدد الصماء بما فيها غدد الجنس . ولكننا لا نعرف إلا القليل لنستنتج النتيجة الأخيرة

إذا سلّمنا جدلاً بعبارتي ذكر وأنثى ، نرى أنه ليس هناك ذكورة بحت ولا أنوثة بحت ، وما دامت الحالة كذلك نضع اسماً لا يكون مربكاً ، ولتكن كلمة « طفل » أو « ناقص النمو » بدلاً مما نمنى بالأمث . وعبارة « مرهق » أو « تام النمو » بدلاً مما نقصد بالذكر . وقد ترى المرأة أن هذه التعبيرات غير مقبولة ، ولكن ليس في كل أنثى ما يجعلها « طفلة » أكثر مما يجعل كل ذكر مرهقاً . إذن ، فحركة المراهقة هي التي تشمل برنامجها وظواهرها كلا الجنسين . وعلى الذين يحبون أن يشتركوا في المفاضلة بين الرجل والمرأة أن يدركوا تماماً أن الجنسين كليهما مشترك في التبعة . وربما يكون الرجال أكثر

الوزن من الطفل الأنثى ، كما شوهد من بحوث بوديش Boditch وهايرج Heiberg وآخرين ، كما أن أعضائه وعظامه أثقل والأطفال من كلا الجنسين يختلفون في حجم أعضائهم الجسدية وفي وزن عظامهم . ولكن يمكننا أن نمزو أى اختلاف بينهم إلى الحقيقة بأن مبيض الأنثى ينتج بويضات Ova على حين أن الذكر ينتج الحيوانات المنوية Spermatozoa ، وعدد كلا الجنسين تقسمها خلية ذات فتحة مشتركة

وفي خلال الفترة التي تسبق المراهقة ينمو البنون والبنات نمواً يكاد يكون متشابهاً بالرغم من الفصم الذاتي في الأنثى . وليس يبدو على المرأة حتى انقطاع الحيض أنها في حل من موانع سيكولوجيتها الانثوية . إنها سن الفتح ، وهي السن التي يتسنى فيها للنساء أن يصبحن ذوات شخصيات متسلطة قوية . وحينما نجردها من ملابسها يمكننا أن نلاحظ أن تشريحها Anatomies ينتج لنا اختلافات كمية فقط ، من الاستجابة للبيئة . والمرأة يقوّيها التشريح السهل ، وإذا كانت نموذجاً حسناً قلداً إنها جميلة ، بمعنى أنها أكثر طفولة وأكثر وداعة . فهي إذن أكثر ميلاً إلى جنسها ، ولذا تُحب ويُرغب فيها . . . ولو أن الذكر الحالي بمجب بنوع من الجمال الانثوى الذي كان يعتبر فيما مضى « أداة » للتناسل

وهناك نقطتان ضيقتان في تشريح الأنثى بجانب مقدار صغير من أنسجتها العضلية ، وأعضائها القليلة الفعالية والكفاية ، الأولى : ميلها إلى البدانة بسهولة . وهذا الميل إلى البدانة عرض من أعراض التحول Metabolism ، فبدلاً من أن يحرق الجسم الغذاء إلى نقطة النشاط يقف في منتصف الطريق عند نقطة البدانة . وهذا يوضح السبب بنوع ما في اتساع صدور نساء كثيرات . والبدانة مصدر حيرة شديدة للمرأة الحديثة أياً كان عملها . وهذا الميل إلى البدانة إنما هو نتيجة ضعف أنسجتها العضلية ، لأن حاجزها البطنى الضعيف لم يبين إلا موضعاً عضلياً واحداً . ولكن هذا الشد الحقيقي Corset في غاية الأهمية ، لا لأنه يمسك الأحشاء في مكانها لحسب ،

خطأ في ذلك ؛ فقد ساعدوا المرأة على الاحتفاظ بضعفها لكي تكون أكثر خضوعاً لهم سواء كانت ألعوبة أو خادمة . وربما يمترض الرجال على الكلام المتعلق بالراهقة على ضوء ما تقدم بقدر ما تستنكر النساء كلمة (الطافولة) التي أصبحت تنطبق على أحسامهن . ويجب علينا أن نفهم بادية الرأي أن واجب الرجل في حركة الراهقة يكاد يكون ثورياً كما في المرأة ، ولو أنه قد تم فعلاً في مجالات مختلفة

وحركة الراهقة معناها الميلاد الجديد لسكلا الجنسين . ففي حالة المرأة مثلاً - يجب أن تستعمل سيكولوجية الراهقة التي تطحن على الحياة من المهد إلى اللحد . لأن المرأة تولد في سيكولوجية خاصة مضعفة تتمشى معها في الحياة . وسيكولوجية الأنثى هذه هي التي تجعل إضفاء البيئة ممكنة . والتي تحتفظ على الدوام بكلمة المر لتجفظ الأشياء مأمونة هادئة

وهناك حالات في تاريخ البشر انمكست فيها وظائف الجنسين أو حوّرت بوضوح . فن بين الإسكيمو ونشاهد الذكر يقوم في بعض الأحيان بما يتطلبه العمل المنزلي ، وهو لذلك سمين مترهل . ويقول أريستوفانس Aristophanes إن نساء أسبرطة كان يمكنهن أن يخنقن نوراً بأيديهن . وقرأ في التلمود أن وظائف الجنس تغيرت أثناء عصر واحد من التاريخ العبراني

وبينا نعمل للتدريج في إفراز الهرمونات التي تؤثر في التقدم وفي السلوك ، يجب علينا أن نذكر أن معظم الاختلافات تكون شيئاً هاماً في السلالة البشرية *Jenus homo* ويفهم هذا عند ما نذكر أن المبيض يزن من جرامين إلى ثلاثة جرامات فقط ، على حين أن الخصية تزن من ١٠ جرامات إلى ١٤ جراماً . وهذا جزء من التفاوت في الوزن يتمشي مع القاعدة العامة للوزن الأقل لجميع أعضاء الأنثى . والمرأة القوية يحتمل أن يكون لها مبايض أثقل كما يمكن أن يكون لها قلب أكبر . ولكن تأثير الغدد الجنسية واحد لا يُقدر بأكثر من قيمته . والدذكورة والأنوثة ليستا خالصة الذاتية : هما دائماً أخلاط ، فصيلة المراهقين تقدم أخلاطاً موزونة ذات فائدة كبيرة - لمصلحة الجنسين . والفرق النوعي الواضح بين الرجل والمرأة هو التركيب

النوي في الذكر والتركيب البيضي في الأنثى Ovogenic وغدد الجنس ليست متابع لما عرفناه بالزوايا العرقية لحسب ، وإنما تعتبر السكمية والجوهر لكل ما يمكن أن يذكر فيما نعتبره مبدأً بيولوجياً سليماً ، أي أن الرجل والمرأة كليهما استجابة بروتلازمية للبيئة Brotoplasms . وما دامت الحالة كذلك يمكننا أن نؤثر بتوسع في الاستجابة بتغيير البيئة . واختلافات الجهاز بين أشكال البروتلازم الحيوية للذكر والأنثى نافهة وعديدة الأهمية . والاختلافات التي نشاهدها هي في الغالب آثار من صنعنا ، وهي تنشأ في الغالب من حالات العقل والعادات . واختلاف التركيب الجنسي لا يمكن أن يعمل بحرية الذكر وبلوغه ما يشتهي ، ولا يمكن أن يعمل بالخضوع والمعجز في العمل من جهة الأنثى

والسبب في تفوق الذكر ليس في حقيقة جنسه ولكن في المنافع التي يفعلها بقواه ، إنه يعيش لا في بيئة (الذكر) ولكن في بيئة من القوى . وإنه لا يستعمل سيكولوجية « الذكر » على الأقل ، حيث ينجح ، ولكنها سيكولوجية من القوة ... ليس « البرهان » ذكراً : إنه منطق التحصيل ... وليس (البداية) أنثى : إنها عقدة من العبث والكذب والمخادعة ... وضعف الأنثى ليس سببه الغدد في حد ذاتها ، وليس حقيقة أنها أنثى ، ولكن السبب يرجع إلى تحول فسيولوجي وسيكولوجي ناتج عن الاستعمال الضيق المحدود لقواها ، والفكر الحديث والطب أزالا إلى حد كبير الآثار المكبوتة للحيض والولادة . وليس الحب هو كل الحياة لفتاة يافعة أو لامرأة ناضجة . فالحب الحقيقي يأتي فقط عند ما يفقد المرء حياته ، والماشق هو الشخص الذي يحاول أن ينقذ حياته فيفقد كل حبه وحياته والمرأة - بالتأكيذ - لها دور خاص Rôle هو ولادة الطفل ، والرجل دور خاص هو إنتاج الطفل ، ولكن هذه الأدوار التي يقوم بها الجنسان بولغ فيها مبالغة لا يتسع لتفصيلها المقام .

(الأسكندرية)

هيبير العزب هادور

الأدب الاغريقي

في عصر الاسكندرية

للدكتور محمد مندور

رأينا أن شعر الإسكندرية لا يهز النفوس إلا عندما يمود فيتصل بالحياة ، ولقد شهدنا ذلك الاتصال في المقطوعات الصغيرة وفي أغاني اريف والرعاة . وبإتمام النظر فيما سبقنا من أمثلة ، يلاحظ القارى بلا ريب أن ذلك الشعر وإن كان نقياً خالصاً فإنه لم يخل من واقعية ، وذلك لا في الأسلوب فحسب ، بل وفي نوع الإحساس والتفكير . ولقد استمعنا إلى تيوقريطس ينصت إلى الضفدعة الخضراء ، ويتغنى بممبيكا الباسمة الخفيفة الدم ، وقد جن بها عادياً خلفها كما يمدو الذئب وراء النعجة والبجع خلف الحرات ، وعنده أن جالاتيه ، البيضاء كاللبن الخفيض ، لازعة كمنقود المنب الأخضر .

وهذه الواقعية لا علاقة لها بالذهب الأدبي الذي ظهر خلال القرن التاسع عشر بذلك الاسم ، فأدباء ذلك القرن وعلي رأسهم بلزاك وفلوبير وموباسان إنما كانوا يقصدون بالواقعية الكشف عن الجوانب الوضيعة في النفس البشرية ، حتى لقد تطور مذهبهم فانتهى إلى الطبيعية التي نجدها عند زولا حيث لا ترى إلا الفرائز الشاذة والقوى العضوية ومخلفات الوراثة المثقلة تقود أبطال الروايات . واقعية شعراء الإسكندرية لا غوص فيها ولا تحليل ولا التماس للجوانب المظلمة في النفس ، وإنما هي تصوير لواقع الحياة الساذجة ، ولشعور النفس المفلطور بأسلوب مباشر

وإذا كانت هذه الواقعية قد طالعنا من ثنايا الأغاني ، فإنه لم يكن بد من أن تنفرد بنوع بذاته من أنواع الأدب ، وهذا النوع هو ما سميناه فصول المحاكاة Mimes

فصول المحاكاة

نشأ هذا الفن بصقلية كما نشأت أشعار الرعاة ، وإن يكن

أقدم منها تاريخاً ، إذ يعتبره النقاد عنصراً من العناصر التي مهدت للكوميديا ، وأكبر الظن أنه نشأ في القرن الخامس ق . م . على يد سُفرون وزينار كوس ، وإن يكن ما كتبه قد ضاع . ولهذا لا نستطيع أن نجزم بطريقة بنائهما لتلك الفصول ، وإن كان من الراجح أنها كانت على غرار ما وصلنا من اللاحقين لها ، وبخاصة هيرونidas (يسميه اليمض هيرونidas) الذي نشر له العالم الإنجليزي كنيون Kenyon سنة ١٨٩١ سبعة فصول عن ورقة من أوراق البردي موجودة بالمتحف البريطاني . وكل فصل منها عبارة عن حوار بين شخصين أو ثلاثة أشخاص أحياناً من النساء وأحياناً من الرجال ، وهو شديد الشبه بفصل من مسرحية ، وإن كانت تلك الفصول لم تعد للتمثيل ، بل كتبت للقراءة أو الإلقاء . ولقد كان هيرونidas هذا فيما يبدو معاصراً لتيوقريطس . وأشخاص الحوار من عامة الشعب أو من الطبقة الوسطى . فتجد معلم المدرسة وبائع الرقيق والقوادة والجزجى الشهير ... الخ ... والشاعر يصورهم في حياتهم اليومية ، وهو يلتبس حواراً أى سبب كان : لقاء في طريق ، أو احتكاكاً في زحام ، أو مساومة على سلعة . وإذا بنا نشهد ساعة من حياتهم بهمومها الدارجة ، ومسراتها المألوفة ، وشهواتها الصغيرة ، وثرثرتها الأبدية التي نعرفها جميعاً في أفراد الشعب ، وما يتخلل حديثهم من أمثال وتحيات محفوظة ، وشتائم موروثية ومصطلحات لا نفهم لها وضماً ولا معنى . من أمثال : « بلا آفة » و « ياسيدي المانت » ، وما إلى ذلك مما يستطيع أن يسمعه القارى بكل ركن من أركان الحسنية أو البهالة ، فستمع طوراً بعد طور إلى القوادة ذات القاب الأزرق تنقل إلى فتاة مغريات عريبيد كبير ، أو بائع الرقيق يقص على المحكمة محنة ويطلب إليها العدل ، أو أب يتحدث إلى معلم المدرسة عن ولده « الشيطان الرجيم » ويقص عليه « غفرته » التي لا تنتهي ؛ أو ترى بائع الأحذية الشهير يمرض على « مترو » أحذيته الجيدة ويطرى البضاعة

فصول المحاكاة لوحات أخلاقية صغيرة ، لوحات لا عمق فيها ولكنها تصوير صادق للحياة ، وهي وإن خلت من عنصر الدراما إلا أنها مع ذلك تكون غالباً وحدة لها بدؤها ونهايتها . وموضع الجلال فيها هو سذاجتها وما بها من دقة الملاحظة ، ثم

في صدق التصوير وسذاجته ما يعوض عن الشعر ، وإن كان تيوقريطس لم يتألف من أن يتختم فصله بنشيد فيه شذا الشعر الجميل

الشعر العلمى «أبولونيوس»

قلنا من قبل إن الكثير من شعر الإسكندرية كان شعراً مصنوعاً وضعه العلماء بعيداً عن الحياة ، ولدينا من هذا النوع الشيء الكثير ، فأراتوس يتحدث عن «ظواهر الطبيعة» في كتاب ضخيم . وكالهما كوس يقص نسب الآلهة بمقاماتهم وحوادثهم المعروفة في أسلوب تعليمي في «أناشيد» أو يوضح الأسباب والمسببات في «أصوله» ، بل ومنهم من أخذ في محاكاة هوميروس فحاول أن يضع الملاحم . وأكبر هؤلاء المقلدين هو أبولونيوس الرودى الذى ألف ملحمة كبيرة يقص فيها رحلة جازون ورفاقه بحثاً عن الجزء الذهبية ، ذلك أن جازون هذا كان عمه قد اغتصب من أبيه العرش ؛ وعندما حاول استرداده طلب إليه العلم أن يأتيه أولاً بالجزء الذهبية ، وكانت تلك الجزء ببلاد تراقيا الذاتية حيث يحرسها تنين ضخم فضلاً عما في تلك الرحلة البعيدة من مخاطر . ولقد استطاع جازون أن يأتى بالجزء ، وذلك بفضل ميديه بنت ملك تراقيا التى أحبت البطل وجنبتة بنصائحها وذكرائها مواضع التهلكة بل وهربت معه . وهذه هى القصة المعروفة بقصة «الأرجونوت» أى بحارة «أرجو» وهو إسم السفينة التى أبحر عليها جازون ورفاقه

وأبولونيوس وإن يكن بلا ريب من الشعراء العلماء ، شعراء الصنعة . فإنه يمد برغم ذلك شاعراً كبيراً وبخاصة في بعض أجزاء ملحمة التى استرسل فيها مع إحساسه إلى حد ما . ولعل من خير ما كتب وصفه لفرام ميديه : «مد الليل ظلاله على الأرض ، وفي البحر نام البحارة بسفنهم وهم يتأملون هيليكيه Heleké ونجوم الأريون . وقد هنا المسافرون في الطريق إلى ساعة النوم ، كما هنا الحراس على الأبواب . بل والأم الحديثة عهد بموت أبنائها قد لفها خدر نوم عميق . وعواء الكلاب لم يعد يسمع بالدينة . لم يعد ثمة همس لصوت . لقد تملك الصمت ظلام الليل

بقاؤها في مستوى الشعب ، فلن نجد فيها أى تداخل من كانبها . بإحساسه الخاص أو آرائه ومثله ، فكأن الشاعر سلبى بحث يستمع إلى من حوله ويرصد ما يستمع ، ومع ذلك كم فيها من دقة وصدق وحسن اختيار للتفاصيل الدالة ، وقد تتابعت بها دمارات الفول وعفة الحياء ، وقاحة بائع الرقيق وسذاجة نساء الحارات ، مكر بائع الأحذية وتصنع المستهترات

في هذه الفصول مجموعة كاملة من المشاعر المتوسطة التى نجدها عند عامة الناس ، والشاعر لا يحميد بها إلى التزم ولا إلى التسامح المسرف ، بل يلزم الصدق فهو لا يمتدحها ولا يهجوها بل بصورها كما هى غير متجنب ما فيها من قبح ولا مبالغ فيه . وهو لا يخشى العبارة المسفة ولكنه لا يبحث عنها ، كما أنه لا يفتقد العطف على ما يحب ولا يصب اللوم على ما يكره . وشخصياته وإن لم تخل من رذائل وقسوة إلا أن تصرفاتهم لا تصل قط إلى حد الماكس الدراماتيكية . وهم بهذا أيضاً يظنون في واقع الحياة . الحياة الحقيقية التى يندر بها الأبطال الخارقون كما يندر كبار المجرمين

ثم إن هذه الفصول وإن كانت تصور نواحي إنسانية عامة إلا أنها تضيف إلى ذلك حقائق تاريخية خاصة بشعب صقلية في ذلك الحين ، ذلك الشعب الذى اشتهر منذ القدم بكثرة الحركة وخفة اللسان ومرونة الخلق والنزوع إلى الاستطلاع

ولقد كتب تيوقريطس نفسه كما ذكرنا في نهاية المقال السابق بعضاً من تلك الفصول ، ولعل «نساء سيراكوزة» خير مثل يضرب لها . والحوار يجرى بمدينة الإسكندرية في يوم من أيام عيد أدونيس وبطله امرأتان أنت بهما من سيراكوزة إلى الإسكندرية بعض المهام التجارية فذهبتا إلى العيد حيث لا تنقضي تعليقاتهما على ما يريان ، فالحصان الرمادى الضخم يخفيهما وكل منهما تشكو من زوجها وإن كانتا في حقيقة الأمر أميل إلى الطيبة ، وهما لا يفنيان ولكنهما يجبان الاستماع إلى الغناء ، وبالفعل ينشد أحد المغنين نشيداً جميلاً لأدونيس وبه ينتهى الفصل . وهما نحن بعيدون عن رعاة الجبال وقد انتقلنا إلى المدن حيث تجري الحياة المتواضعة التى لا شعر فيها ، ولكننا نجد

أنه أكبر شعراء التراجيديات في ذلك العصر وهو ليكوفون Lycophon لم يرقه ما أحدثه أوربيدس في أسلوب التراجيديات من تطور نحو النثرية . فأراد « كأديب مرهف » أن يعود بها إلى اللغة الشعرية القديمة . فأخذ يحاكي أيسكيلوس وبنداروس ، ولكن التكلف أفسد محاولته كما نتوقع ، وكان في هذا فشل للتراجيديات لا يقل عن فشل الملاحم

ونخلص من كل ما سبق عن أدب عصر الإسكندرية إلى أن لم يجد إلا عند ما عاد إلى الحياة ، لقد جاد في شعر ليونيداس لأنه لامس بؤس الحياة وخبر أسرارها ، وجاد في شعر تيوقريطس لأنه هاجر إلى الريف حيث السذاجة الساحرة ، وجاد في فصول المحاكاة ، لأنه صور واقع الحياة ، ولقد صدقت نفائسه في شعر الغرام ، لأن الحب شعور غلاب ، وأما فيما عدا ذلك فقد جاء شعر علم وتكلف وكتب وصالونات .

محمد مندور

ولكن ميديه لم يفرها عذب النوم ، لقد أيقظتها آلاف من الهموم ، هموم غرامها ... وكان قلبها يثب في صدرها بلا انقطاع ، وكأنه شمع يثب في غرفة وقد عكسته مياه نصب في قدر . فهو يهتز دائراً في سرعة فيقفز هنا وهناك . على هذا النحو كان يدور قلب الفتاة بصدرها

حدثت نفسها حيناً بأنها ستعطى المادة السحرية النيران « التي كانت ستفترس جازون » لتهدئها ، وحيناً بأنها لن تعطى . فكرت في أن تموت ، ثم في أن لا تموت ، وأن لا تعطى المادة السحرية محتملة ألمها دون أن تفعل شيئاً . وأخيراً جلست وفكرت ، ثم قالت : ما أشقائي ! لقد تحوطني الحزن . أين المفر ؟ بكل سبيل شكوك لنفسي ! لا دواء لألم الذي لا يمك من إخراجي . آه ! ليت أرتدس « إلهة الصيد » استطاعت أن تقتلني بسهامها قبل أن أراه . كيف أستطيع أن أعد المواد السحرية خفية عن أهلي ؟ ماذا أقول ؟ أي حيلة اخترع لأداري معونتي ؟ هل أحادثه سراً بعيداً عن رفاقه ؟ يا للبؤس ! إن موته ذاته لن يدع لي أملاً في الشفاء من آلامي . بعد موته سيحتضني الألم . وداعاً عفاي ! وداعاً ضياء حياتي ! فلينج على يدي ولينا من هنا دون جراح . لينا إلى حيث يهوى فؤاده »

ولست أدري ماذا يظن الفاري بهذه الفقرة التي هي بلا ريب من خير ما كتب وإن كنت عن نفسي أحسن فيها العنمة بادية والتكلف واضحاً ، ولا أدل على ذلك من أن ننم النظر في تشبيهه المقدر لقلب الفتاة بالشمع الذي يثب في غرفة وفي العرفة قدر وبالفدر يصب ماء ، والماء ينعكس الشمع ، والشمع يتطاير شرره في كل ناحية وما إلى ذلك من تفهيق العلماء وصنعهم المرذولة

ذلك عن فن الملاحم . ولقد سبق أيضاً أن قلنا إن شعراء ذلك العصر قد حاولوا كافة الفنون الأدبية ، فهم لم يقفوا عند الملاحم يحاولون معها بعد أن كان زمن الفطرة والطبع السليم قد انقضى ، بل كتبوا أيضاً للتراجيديات . ومن غريب الأمر

الشوامخ

امرؤ القيس

درسي وتحليل

بسم

الدكتور محمد ضبري

أول كتاب يبرز عبقرية زعيم الشعر الجاهلي بأسلوب

جديد يستند إلى التحليل المقارن بأدب الإفرنج

يطلب من المكتتب الشهيرة الثمن ٣٠ قرشا

٤ - أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

لم نستطع أن نهتدي إلى شيء في قصة حب رامي ، هذا الحب الذي لمسنا أثره في الكلمة السابقة ، والذي تفجر بعد ذلك أحياناً صافية ، فيها كثير من الدموع ، وفيها كثير من الألم ، وذلك حينما دخلت في حياة الشاعر مطربة الخلود الأنسة أم كلثوم ، فوجدتها حياة تضطرب بتلك الآلام التي تختلط فيها ذكريات اليتيم والحب ... اليتيم المابس التجهم ذي المسؤوليات ، والحب الخائب المنكوب ذي الصبوات ، وجدته يقول :

هل زال من دنياي حسن هزني ؟ أم قر في قلبي لهيب النار ؟
حب تضرّم في حنايا أضلّي فأصابه بأس بطول قرار
وبكيمته حتى ملأت بكاهه فسكت منظوياً وحزني وار
وهذا كلام سهل لين ، ولكنه مؤثر ، بل مُبكٍ ... وأى قلب ... لا يتأثر حينما يسمع رامي في رفته وسمو عاطفته ، يهتف بهذا الشعر الجميل السهل اللين ، شاكياً باكياً ، ذارفاً دموع قلبه ، مصعداً أنات روحه ، واقفاً عند الشطر الأخير :

فسكت منظوياً وحزني وارا

وقفة العاشق المكروب أمام هذا الحطام المقدس من بقايا حبه !
لقد أرهفت أم كلثوم سمعها حينما سمعت رامياً بين ذلك
الآتين الموجع وسط جنته الذاتية الذابلة ، فوجدته يسائل
الأطياف التي تهيم من حوله :

لن الغناء أقوله فأصوغه من أدمعي ودمي ، وطيب سراري
ومن الذي يوحى إليّ من الهوى قبس الخيال وصدحة الأوتار
ما أطلق الطير الصدوح بشدوره مثل ابتسام الزهر والنوار
أو نضر الزرع البهيج زهوره كالشمس والماء النير الجاري
أو أرقص البحر الخضم عبابه كالبدر يشرق باهر الأنوار
وتلفت رامي فجأة على صوت رخيّم رضيّ ندى يقول له :

« أيها الطائر المنفرد المذبذب المبيض الجناح ، صغ غناك لي
أملأ به الكون ، وأجعل لك به دماً جديداً وحياة جديدة ...
صنع لي أوج إليك من أفانين الهوى ألوانها الزاهرة الباهرة ،

وأنفذ الرماد عن قبس خيالك ، والصدأ عن صدحة أوتارك ،
وأبتسم لك ابتسام الزهر والنوار ، وأشرق على عباب بحرك
الخضم لشرق البدر باهر الأنوار ، وأدقّ جنتك بمنى النير الجار ،
التي جرت في فلكك الدوّار ، وأرورها بماني النير الجار ،
وأتردد في أنفاسك عطراً ، وأتبّلع في ظلام بأسك فجراً ،
وأرد عليك شيطانك النافر ، وأدّد عنك وسواسك الساهر ،
وأسحر لك بنات غابك ، وعرائس عبابك ، فتفرش لك
طراقات جنتك بأفواف الزهر ، ولآلى البحر ، وتعدك بروائع
الفكر ، ونفثات السحر ... و ... و وما إلى ذلك
مما يفازل الأقلام من الشعر ، وهي تكتب عن رامي وأم كلثوم
وانتفض فؤاد رامي لذلك الصوت الرؤوف الرخيّم انتفاضة
هائلة لم تزل تتردد ملء أصالعه عشرين عاماً ، وأحسبها سوف
تتردد فيه حتى يشيخ رامي ، وحتى يهرم معه أناس آخرون
لقد رأينا كيف عز على رامي أن يصمت هذا الصمت الذي
أفرعه وشغل باله ، وهو شاعر الإنسانية الحزين الذي يقول :
الحزن أدبى ، وهذب خاطري وأنالني علو الخيال السامي
وأسال أسراب الدموع فصفتها صوغ المعاني في شجيّ نظامي
وأرق إحساسى ومدّ مشاعري فوصلت كل الناس في أرحامي
فاسمهم أحزانهم وحملت من أعبائهم شطراً من الآلام
فلما سمع من أم كلثوم هذا النداء الرخيّم الندى الرضى ، خفق
قلبه ، واستجاب له ، وحلت مطربة الخلود عقدة السحر عن
لسانه ، فانطلق يصوغ لها أغانيه الخالدة (من أدمعه ودمه
وطيب سراره) ، وانطلقت هي (توحى إليه من الهوى ، قبس
الخيال وصدحة الأوتار)

واقصد كان دخول أم كلثوم في حياة رامي ثورة كاملة
في تلك الحياة اليتيمة الحزينة الباكية ، ولقد استطاعت أم كلثوم
أن تلهم رامياً كل هذه الثروة الطائلة من المعاني (البكر)
التي لم يسبقه إليها أحد من الشعراء (فيها نعم) والتي سجلها
في (شعره الجديد) وأغانيه المصرية العذبة التي أنقذت الغناء
المصري من الأسفاف الذي تردى فيه زماناً طويلاً قبل أن
يهيئ له الله رامياً ، ليجدده ، وليهذب ، ولينقى عنه ما كان
يشوبه من خيال غث ، وتعبيرات رخيصة ، وغزل بارد مكشوف ؛
مما سيجب له كلمة مستقلة إن شاء الله
واستطاعت أم كلثوم كذلك أن تخفف من برءاء الحزن

في نفس رامي ، وأن تلتف من لدغ الحرق التي كان ينطوي عليها من جراء نكبتة في حبه ، وقد اعترف هو بذلك في كثير من شعره الذي أخذ يرق ويصفو لدخول أم كاثوم فيه :

صوتك هاج الشجر في مسمي وأرسل المكنون من أدمي
سمته فاناب في خاطري للشعر عين ثرة المنبع
ودب في نفسي ديب اللي والبرء في نضو الجوى الموجع
سلوى من الدنيا تسلي بها قلب شديد الخفق في أضلي
طال به السهد كأن الدجى ضل به الفجر فلم يطلع
حتى إذا غنيت ذاق الكرى ونام نوم الطفل في المضجع
كأنما لفظك في شدوه منجدر من دمي الطييع
فيه صبايان وفيه الضنى يشكو تباريح فؤادي معي
نظمت أشعاري وغنيتها منظومة الحبات من مدمي
أودعتها الشكوى فارق لي من راح بالقلب ولم يرجع
ولو تغنيت بها عنده عاد إلى الود ولم يقطع
أما حديث هذا (الذي راح بالقلب ولم يرجع) فعمله عند رامي الذي يقول بعد هذا :

يا من شدت بنسب ناجيت فيه حبيبي
وردت من شكاتي ورجعت من نحيبي
وأودعت في الأغاني تناوحي ووجيبي
فجرت نبع خيالي من بعد طول النضوب
أنت حزن فؤادي بصوتك المحبوب
وكنت مألّف حسي وظل روعي الغريب
وآنس اليوم قلبي نجيت في القلوب
حتى غنيت بنجوا لك عن هوى وحبيب^(١)

فتحن إلى الآن تلقاء حالات ثلاث من أحوال رامي ...
أولها رامي المحب المحزون ، وثانيها رامي الذي يشكر القدر على هذا الصوت الذي أخذ (يدب في نفسه ديب اللي ، والبرء في نضو الجوى الموجع) ، رامي الذي لا يزال يحن إلى إلفه القديم فيقول :

أودعتها الشكوى فارق لي من راح بالقلب ولم يرجع
ولو تغنيت بها عنده عاد إلى الود ولم يقطع
أما الحالة الثالثة ، فرامي الذي أخذ يتسلى عن هواه القديم ، حيث يقول :

(١) لتتفر عن جذف بعض الأبيات لبقا الحديث

أنت حزن فؤادي بصوتك المحبوب
وكنت مألّف حسي وظل روعي الغريب
وآنس اليوم قلبي نجيت في القلوب
حتى غنيت بنجوا لك عن هوى وحبيب

وذلك اعتراف صريح من رامي بأن قلبه قد آنس اليوم نجيت في القلوب ، حتى غنيت بنجوا عن كل هوى وكل حبيب أما تاريخ قلب رامي بعد هذه الأطوار الثلاثة من أطوار حبه فليس من شأننا ، ونستطيع أن نقول إنه أصبح قلباً شديد الصلة بأذنيه ... أي من هذه القلوب التي تمشق بالأذن قبل أن تمشق بالعين أحياناً وإن تك عين رامي من أعشق عيون الشعراء الذين عرفناهم أجمعين . ونستطيع أيضاً أن نلفت النظر إلى حب جديد شب في قلب رامي فجأة ، وجعله لأول مرة في حياته يذكر الشك ويردده كثيراً في أشعاره الجديدة وفي أغانيه المصرية البارة الرائعة :

تقول أسأت الظن بي فكأنما تحال محباً لا تسوء ظنونه
وهل قر قلب في هواه ولو غدا يساجله فرط الحنان خديته
إذا لم يكن في الحب شك وحيرة
فمن أين يحلو للمحب يقينه ؟
ومن قصيدته (بين الشك واليقين) :

قد أحاطت بك العيون فما أسطيع ألقى مكان عيني منك
وجرت حولك الأحاديث حتى كدت أنسى الذي أحدثت عنك
وأطافت بك القلوب وقلبي ضاع في غمها ولما بضامك
خبريني أي القلوب تناجيسن فقد همت في غيابة شك
ومن قصيدته (كذب الظنون) التي مطلعها :

أخاف عليك من نجوى العيون وأخشي أنه القلب الحزين
وأعلم ميل نفسك أن تكوني هوى الدنيا ومنسبعت الحنين
فأخشي قولة المذال مالت لنفرك ، وانعجى كذب الظنون
وقفت على هواك مطار فكري ومسرى خاطري وهوى فنوني
ووحدت المعاني فيك حتى رأيت الكون خلواً من شجوني
فهل يرضيك ما ألقى فأرضي نصيبي فيك من ذل وهون
أم الظن المرعب أضل رشدي وأرسل لي له بغشى يقيني
وأنت كما عهدتك في غرامي نجية قلبي الراعي الأمين
ومن قصيدته (ظن المحبين) :

ساودني الظنون فيها ولكنني غالبت سوء ظني حيناً

على هامش ذكرى المعري

«داعى الدعوة» مناظر المعري

للدكتور محمد كامل حسين

— ٤ —

لخصت في مقالتي السابقة شيئاً من حياة المؤيد داعى الدعوة ، وتحدثت عن شيء من نشاطه في الحياة السياسية ، ولم أشأ أن أدخل في تفاصيل لا تتحملها الصحف السيارة ، والآن أتحدث عن أثر المؤيد في الحياة العلمية والأدبية . فقد كان المؤيد عظيم الأثر في معاصريه ، واستطاع أن يسخرهم بفصاحته وببهرهم بقوة حججه فاقادله خلق كثير ، واستطاع كذلك أن يجعل من تلاميذه مدرسة لها طابعه ، تتحدث بأرائه وتبشر بآماله ، كما وضع عدة كتب لا تزال إلى الآن من أهمات الكتب التي لا يقر بها إلا نميوخ الدعوة الطيبية في الهند واليمن ، (أى طائفة

ثم ساءلتهما أحمل عني بمض ما ذقت في هواها فتونا
فنت طرفها وقالت أما نبرح يا ظالمى نسي الظنوننا
وأنا لا أشيم في قلبك السا در نوراً ولا أحس يقيننا
كلنا نسي الظنون وما أحسب إلا أن الأمانة فينا !
وكما يتردد ذكر الشك في شعر رامي الجديد تتردد الشكوى
من كثرة المحبين الذين تنهاوى فراشات قلوبهم في نار حبيبته
المقدسة :

يا من أخذت فؤادى أخذ العدو الحبيب
قلبي لديك فقل لي ما حاله في القلوب
وما أعذب مطلع قصيدته « هوى الغانيات »
كيف مرت على هواك القلوب فتجبرت من يكون الحبيب ؟
ومن قصيدته « بين الشك واليقين » :

وأطافت بك القلوب وقلبي ضاع في غمرها ولم يضعك
خبريني أى القلوب تناجين فقد ضمت في غيابة شك
ثم تكثر في شعر رامي الجديد تلك المقطوعات الرقيقة التي

الهيبة) ، وقد سرد عبد الله بن المجدوع في رسائله أسماء الكتب التي وضعها المؤيد في الدين ، وهي تبلغ نحو ثلاثة عشر كتاباً ، منها كتاب واحد بالفارسية هو كتاب أساس التأويل ، وقال إن المؤيد ترجم هذا الكتاب عن العربية عن كتاب « أساس التأويل » لأبي حنيفة النعمان بن حيون المغربي . وقد رلى أن أطلع على هذا الكتاب بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن ؛ فإذا هو يبحث في تأويل قصص الأنبياء بمد أن قدم في عدة صفحات قليلة بوجوب تأويل القرآن الكريم تأويلاً باطنياً ، ووجوب معرفة الظاهر والباطن

ولعل أكبر أثر تركه المؤيد هو كتاب « المجالس المؤيدية » ، وهو مجموعة محاضراته التي ألقاها في مجالس الدعوة ، وتجمع كل مذهب الفاطميين . فلم يترك المؤيد شيئاً من مذهبه دون الحديث عنه في هذه المحاضرات التي بلغت الثمانمائة محاضرة ، ولا أدري تماماً متى جمعت هذه المحاضرات ومن الذى أطلق عليها هذا الاسم ، ولكن الذى لا شك فيه أن الداعى اليمنى حاتم بن إبراهيم المتوفى سنة ٥٩٩ رتب هذه المحاضرات حسب

لا نستطيع أن نسميها إلا « خطابات شعرية » كان يرسل بها إلى حبيبته الجديد ، يملأها بالشكوى والشك والحنين وهو بصرح في معظم هذه (الخطابات المنظومة) بأن حبيبته هذا ذو صرت جنون حلو :

عشتك للصوت الحنون وللشجى

وما كنت أدري ما يجزى هواك

غناء كشدو الطير في رونق الضحى

ومعنى تناخى في سماء منداك

وإذا سئل رامي عن يكون هذا الحبيب أجاب :

أرادوني على أنى أبوح وهل بتكلم القلب الجريح
إلى أن يقول :

وتزدحم القلوب على هواها فتتكرنى ولى كبد قريح ؟

وبعد ... فن الفضول في تأريخ شعرائنا أن نمدد هذا الحد .

من الله على رامي بتمعة الهدوء في عش حياته المائلى . زوجاً كريماً ووالداً برّاً رحيماً .
دمينى فضيلة

ونشرها باسم « جامع الحقائق » ، فأدى بذلك خدمة جليلة لمن يبحث في المجالس المؤيدية

قسم حاتم بن إبراهيم المجالس المؤيدية إلى ثمانية عشر باباً ، جمع في الباب الأول ما ذكره المؤيد عن التوحيد ، وفي الباب الثاني ما اختص بالإبداع والمبدع الأول ، وفي الثالث ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الرابع عن النبي (ص) وعلى بن أبي طالب ، وأفرد الباب الخامس لمولى أبي طالب ، وجمع في الباب السادس ما قيل في إثبات الإمامة في ولد علي ، وأن الإمامة تنتقل من والد إلى مولود لا تنقطع إلى يوم القيامة ، وفي الباب السابع حديث عن الأشباح الروحانية وفضلهم ، وفي الثامن ما قيل في السادة والتأييد والوحي المتصل بالأنبياء ، وحديث عن الأنبياء والأوصياء ، وفي الباب التاسع والمائة وجوب أخذ العهد على المستجيبين للدعوة ، ووجوب التأويل وصحته ، وفي الباب الحادي عشر تجدرد المؤيد على غلاة الشيعة وعلى القائلين بالتناسخ ، وفي الباب الثاني عشر رد المؤيد على الفلاسفة والمعتلة والمنجمين ، وفي الباب الثالث عشر رسائل المؤيد إلى أبي الملاء المعري ، ورد المؤيد على المعتزلة وعلماء أهل السنة واليهود ورد على ابن الراوندي صاحب كتاب الزمردة الذي يحتاج فيه على الرسل ، ويحاول أن يبرهن على إبطال الرسالة ، وفي الباب الرابع عشر تحدث المؤيد عن أضداد الأنبياء والأوصياء منذ عهد آدم ، وفي الباب الخامس عشر جمع بعض مناجاة المؤيد وخطبه ومواظله ، وجعل في الباب السادس عشر في ذكر فضل المهدي المنتظر ، أو بحسب اصطلاحهم « قائم القيامة » والباب السابع عشر عن المعاد والثواب وذكر أهل العذاب ، وختم كتابه بالباب الثامن عشر وهو خاص بأهل العذاب

هذه هي الموضوعات التي تحدث عنها المؤيد في مجالسه ، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن المؤيد كان واسع الاطلاع عالماً بمذهبه وآراء جميع الفرق الإسلامية الأخرى ، وبما نقل إلى العربية من مذاهب الفلاسفة الأقدمين . والمؤيد في كثير من مجالسه كان يأخذ آية من القرآن الكريم ، أو قولاً مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أحد أئمة الفاطميين

ويشرحه شرحاً يتفق مع ما كان يدعو إليه . فهي مجالس تأويل إن صح أن نسميها بهذا الاسم ، وهنا تتجلى لنا شخصية المؤيد ، إذ أن داعي الدعاة الأكبر أو الحجة هو صاحب التأويل في عصره ، ولهذا نرى شيئاً من الاختلاف بين الدعاة في تأويل بعض الآيات القرآنية الكريمة . فالتأويل شخصي يختلف باختلاف الدعاة وباختلاف المصور ، فتأويل النعمان بن حيون يختلف عن تأويل جعفر بن منصور البجلي صاحب كتاب الكشف ، وكتاب سرائر النطقاء ، وكتاب أسرار النطقاء ، وهما يختلفان عن تأويل المؤيد في مجالسه . وهم جميعاً يختلفون عن تأويل دعاة اليمن ، وهذا عجيب من قوم يدعون أن التأويل من عند الله سبحانه وتعالى ! كان المؤيد يبدأ مجالسه بمقدمة بحمد الله فيها الله ويشي بالصلاة على النبي وعلى وصيه ، ثم يخاطب السامعين بقوله : « معشر المؤمنين » ... معلوم أن ... كما كان يختم كل مجلس بالدعاء لسامعيه ، ثم يعقبها بحمد الله والصلاة على النبي والوصي والأئمة . وكان إذا أراد التحدث عن نفسه في مجالسه يقول : وقع في أيدي أحد دعائنا ... أو « سئل العالم » « قال العالم » ، لأنه كان يستر نفسه موهماً جمهور المستمعين أن هذه المجالس إنما هي صادرة عن الإمام نفسه

وهاكم نص المجلس الثاني من المجالس المؤيدية في موضوع الشرع والعقل بعد حذف المقدمة لطولها « معلوم أن المسلمين يشهدون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام ضرورة من حيث أن القرآن الكريم مشحون بذكرهما وقصصهما . وم « المسلمون » خصوم أمتيها اللتين هما اليهود والنصارى ، وشهادة الخصم لا يحتاج معها إلى بينة ، وهم ينكرون النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بينة للمسلمين غير القرآن الذي لا يقبلونه ويقولون ما هو بلفظنا ولا يلزمنا فيه حكم إعجاز ، والأخبار التي يأتونها في إعجاز النبي « ص » هم يردونها ولا يقبلونها . فكيف الحيلة في إثبات نبوته عليهم ، من حيث لا يستطيعون ردها !

الناظر من المسلمين إذا ناظرهم قال إن كان موسى الذي دل عليه نبينا (ص) ونطق به القرآن الذي هو كتابه ؛ فقد لزمتمكم نبوة صاحبنا كما لزمنا نبوة صاحبكم ، وإلا لم نعرف صاحبكم كما

لا تعرفون صاحبنا . وعنده أنه دقيق في المناظرة وأحسن وجوه ، ولم يعلم أنه قابل ككفرًا بكفر ؛ فكان كما قال الله تعالى : « ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء » وإعنا الطريق عليهم أن يسألوا عن برهان سبقهم وأحدهم وأوضاع دينهم من حيث العقل فيوافقوا على كون اليهودية والنصرانية عندهم لفظًا بلا معنى وأن معاني ذلك محصورة في دين الإسلام الذي أتى به محمد (ص) فيتمين على من طلب النجاة منهم ؛ فلم يعل ميل الهوى الإيمان به . وقول آخر : معلوم أن النبي « ص » مبعوث إلى الكافة كما قال الله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا » وأن معجزة القرآن الذي هو كلام عربي يختص بلسان العرب ، فإنه يستحيل أن يكلف الروى والهندي والتركي أن يقبلوا القرآن معجزاً ويؤمنوا به وعن أتى به ، فما حجة نبوة محمد « ص » على هذه الأمم كلها إلا أن يقام عليهم من صورهم وتراكيهم حجج عقلية هي موجودة في معاني القرآن دون ظاهر لفظه عند الراستخين في العلم يقوم منها برهان نبوة النبي « ص » وإلا فلا برهان . وقول آخر مختصر شاف : أن العقل صنع الله سبحانه في باطن الإنسان يرى به مبصرات الآخرة ككون العين صنعه في ظاهره يرى بها مبصرات الدنيا ، وقد يشرك الحيوان الإنسان في العين ، ولا يشركه في العقل ؛ فما يقال فيمن أعمى عينه بيده فحجب عنها ضياء العالم ونوره ؟ وهل يحكم على من فعل ذلك بعين يشركه الحيوان فيها إلا بضعف الرأي وسوء الاختيار ؟ أفلا يحكم على من أعمى العين المطموح بها إلى دار القرار بالشهوة والخسار وحلول جهنم دار البوار نعوذ بالله من ذلك . وجملة ما يقال في قضية قولهم إن الشرع غير موضوع على العقل إن ولى أفاقه من قصر أن يكون يحتاج البرهان فيها طائر فرأى أنه إن أثبت لكل شيء برهاناً ودليلاً ، واقع خطباً طويلاً ، وبدل تصحيح جسم رياسته تعليلاً فأبى أن يسلك في هذا القول مضيقاً ، وآثر أن يقتصر على نفسه طريقاً ، ونفى أن بين الشرع والعقل محبة أرقية وسن بقوله هذا سنة أثبت على دين الإسلام سببه . ر الخ »

هذا نص المجلس الثاني من المجالس المؤيدية بعد حذف الابتداء والانتها . وهو يدل على مقدار حذق المؤيد وقوة حجته ونهكه بخصوم مذهبه . ومن الطريف أنى قرأت في الأسبوع الماضي مقالاً للأستاذ الجليل عزيز بك خانجى يتحدث فيه عما

سمعه من المرحوم الشيخ محمد عبده في تفسير سورة « والتين والزيتون » وأضيف الآن أن المؤيد داعى الدعاة أشار إلى هذه السورة في ديوانه بقوله :

ففكروا في التين والزيتون واستكشفوا عن سره المكنون ولم أتى من ربنا به القسم كما أتى بالنون أيضاً والقلم

أما في المجالس المؤيدية فقد أول هذا القسم بنفس التفسير

الذى سمعه الأستاذ خانجى من الشيخ محمد عبده . فقال المؤيد :

« وقمت السكتاية عن آدم بالتين وعن نوح بالزيتون لأن كل ثمرة يتقدمها ورق ونوار ، والتين ينشق عنه أعواد الشجر وكل

حتى يسبقه جبل وولادة ، وآدم استخلصه الله من أديم الأرض من غير جبل وولادة فن أجل ذلك مثله بالتين . وخلاصة

الزيتون هي الزيت المأخوذ عنه كأنه الغرض من الزيتون وكثل

ذلك . خلاصة نوح إبراهيم المستخلص من ذريته حتى كأن

الغرض من نوح إبراهيم فهو مضمر في نفس القسم من الله سبحانه . أما معنى « طورسينين » فالمراد موسى عليه السلام ،

وطورسينين هو موضوع مناجاته ومكان فضيلته ، وفيه إضممار

وهو المسيح « وشجرة تخرج من طورسيناء تنبت للدهن وصيغ الآكلين » فالمسيح هو الشجرة الخارجة من طورسيناء

النابت من منبذة ملة موسى فشرفه الله ورفعته . وهذا البلد الأمين

كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، هناك قبلة الله الناصخة للقبل ،

بيتها أول بنيان بى على وجه الأرض ، كما قال الله تعالى :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين »

لآخر ساكن من أولى العزم من الرسل قال الله سبحانه وتعالى :

« لا أقم بهداً البلد وأنت حل بهذا البلد »

فتوارد الخواطر بين المؤيد والإمام الشيخ محمد عبده في تفسير

هذه السورة أوضح من أن يحتاج إلى شرح فإنى أشك في أن

الإمام الشيخ محمد عبده قد اطلع على تفسير المؤيد ، فسأيره

في تفسيره الذى ورد في المجالس المؤيدية التى اعتبرها من السكتوز

التي تركها علماء المذهب الفاطمي ، والتي لا غنى عنها لمن يدرس

تاريخ وعقائد الدولة الفاطمية .

دكتور

محمد كامل حسين

بكلية الآداب بالقاهرة

(ينبع)

حول بعث القديم منزلة المنفلوطي بين كتابنا

للأستاذ محمد خليفة التونسي

أوردت في مقال السابق « حول بعث القديم »^(١) خمس ملاحظات مما عن لي ملاحظته على مقال الدكتور محمد مندور « بعث القديم »^(٢)، وهأنذا أعود إلى مناقشة رأي الدكتور في المنفلوطي، وانقسام النثر إلى تيارين الآن، كما وعدت في آخر مقال السابق، وكما أيدت على نفسي هناك أن أقف فيما لاحظت موقفاً سليماً، فوقفت بعده موقفاً إيجابياً — سأقف هنا ليكون الرأي أوضح والكلام أتم، وسألزم نفسي الإيجاز هنا، كما ألزمتها إياه هناك لضيق المقام

رأى الدكتور أن القصة بمجرد ظهورها أخذت تغذي السجع بمادة الفكر، على نحو ما نجد في الموبليحي « محمد »، ثم شاع الفكر بعدها، ومنها إلى المقالة « على نحو ما نجد عند السيد توفيق البكري الذي جمع في أسلوبه بين الصنعة اللفظية وجمال الصور الخيالية وصدق الإحساس أو أصالة الرأي ». ثم خطا الزثر خطوة أخرى في القرن العشرين على يد المنفلوطي، فأصبح كالنثر الأوربي « تعبيراً مباشراً عن فكر غني أو إحساس صادق ». ثم قال : « واليوم ننظر في نثرنا فنرى تيارين كبيرين ينطوي في أثناء أحدهما الموبليحي والبكري ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات، على اختلاف في الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس، ولكنهم يجتمعون معاً في خاصية واحدة، هي أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا في شيء اللفظية التي سادت في عصور مصر الإسلامية المتأخرة، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً، ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء، حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع، أو نحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها. والتيار الثاني يبتدىء كما قلنا بالمنفلوطي،

ذلك الرجل المرفف الإحساس العذب الأسلوب — ذلك الكاتب الذي غذى أجيال الشباب الناهضة أجل الغذاء، وبلغ من التأثير في نفوسهم ما لم يكذب ببلغه كاتب آخر »

ولا تعني هنا مناقشة رأي الدكتور في تقدم الجدل الفكري في القصة على المقال، فقد خالفته في ذلك ونقضته في المقال السابق، بل يعني ما نقلته بعد ذلك، وإنما ذكرته لأحفظ لآراء الدكتور أطرافها ونعاسكها، ولأن ما خلصت أساس لما نقلت، ومن أجل هذا لجأت إلى نقل ما أريد مناقشته مع طوله دون التلخيص. وأسأل نفسي هنا سؤالاً يحدد الرأي الذي أريد مناقشته هنا، وسنرى أكان الدكتور موقفاً في الإجابة عنه أم لم يوفق

المنفلوطي ممن ينطرون في أثناء التيار الأول كالويلحي والبكري والرافعي والزيات، أم ممن ينطرون في أثناء التيار الثاني كطه حسين الذي ضربه الدكتور مثلاً لرجال هذا التيار؟ يرى الدكتور أن المنفلوطي ممن ينطرون في أثناء التيار الثاني، بل يوغل فيرى أن التيار الثاني يبتدىء به، وتترك الآن أن هذا التيار ابتداءً به، وحسبنا أن نرى أكان أم لم يكن من رجاله؟ وقبل أن نناقش رأي الدكتور نلاحظ عليه أولاً أنه حدد الخاصية التي يجتمع فيها — كما عبر — رجال التيار الأول وسكت عن الخاصية التي يجتمع فيها رجال التيار الثاني، وقد تكرر هذا السكوت مرات منه حين لجأ إلى التقسيم

وما نفلتنا في حاجة إلى مقياس جديد غير مقياس الدكتور نطبقه لنرى أي تيار ينطوي فيه المنفلوطي، فهايننا أن نتمسك به وهو وحده كفيل ببيان الحق الذي ننشده، وكفيل ببيان أن الدكتور أخطأ في تطبيق مقياسه ونقض نفسه ولم يصل إلى الغاية التي كان يجب أن ينتهي إليها، فقد استقام على سنن واضح في أول أمره ثم حطم مقياسه فانتهى إلى نهاية لم يتخذ لها بدايتها، ولم تكن البداية التي سلكها لتصل به إليها

أما رجال التيار الأول فهم — كما قال الدكتور — مثل « الموبليحي والبكري ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات على اختلاف في الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس، ولكنهم يجتمعون في خاصية واحدة، هي أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا في شيء اللفظية التي سادت في عصور مصر الإسلامية

التأخرة ، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع ، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها»

والمقام لا يتسع لإيراد الشواهد من كلام المنفلوطي ، وما نظننا بحاجة إلى الوقوف عند شاهد خاص لتبين أن هذه الخاصية تتحقق في كل ما كتب المنفلوطي كما تتحقق في الموبلحي والبكري والرافعي والزيات من رجال التيار الأول ، فأى كلام للمنفلوطي صالح لأن يكون شاهداً على قيام هذه الخاصية بأوضح سماتها ، ومن أجل هذا ولضيق المقام تركت الاستنهاد ، وأترك للدكتور أن يجيل بصره في أى صفحة مما كتب المنفلوطي — وإنه لكثير — سواء ما وضع وما ترجم وأنا واثق أنه سيجد هذه السمات التي رآها في آثار رجال التيار الأول قائمة في آثار المنفلوطي ، بل سيجدها في آثاره أوضح مما هي عليه في آثارهم ، فما أكثر ما لجأ المنفلوطي في سبيل إخضاع الفكر أو الإحساس لطرق الأداء ، وتجويد العبارة إلى إخراج الفكرة مضطربة ، والإحساس شائهاً ، وأظهر ما تظهر هذه السمات فيما ترجم المنفلوطي فإنه — لجهلة الأصل الذي يترجم عنه — لا يقف في تصرفه عند حد حتى ليضل من يقرأ جزءاً من ترجمته العربية حين يحاول أن يتعرف مقابله من الأصل الأجنبي ، بل كان يلجأ أحياناً إلى القصة الأجنبية فيجعل مقدماتها أعجازها ، ويشيع فيها الهدم علواً وسقلاً ، ويقص بعض أطرافها ويزيد في بعضها الآخر ، ولا يزال مكبهاً عليها مستنجاً وتشوهاً حتى ليمجز متبعه عن السير معه وحتى ليكاد يخفى الأصل كله عنه لولا أن يهتدى إليه من طريق آخر كالأعلام مثلاً ، وما علينا إلا أن نرجع إلى ترجمته لقصة غادة الكاميليا فقد غير حتى عنوانها ثم جعلها قصتين بمناوين ، كما يظهر ذلك من الرجوع إلى مجموعته (المبرات) وهذان العنوانان يظهران حتى في فهرس المجموعة ، ولو وازنا بين ترجمة القصة في آخر مجموعته والأصل الفرنسي أو بينها وبين الترجمة العربية للدكتور أحمد زكي بك لرأينا مقدار ما جنى المنفلوطي بجهله الأصل وحرسته التي لا تقف عند

حد — على هذه القصة الفريدة الخالدة ، ولقد كان مسخه يمتد إلى كل ما يترجم حتى المناوين ، وما أظن الزيات فيما ترجم — مع حرصه أيضاً على تجويد العبارة — قد اجترح شيئاً من آثام المنفلوطي لأنه يعرف الأصل ولا يترك الاتصال به في أى موضع من المواضع ، وإنما اخترت الزيات لأنه باعتراف الدكتور من رجال التيار الأول

ولم يكن المنفلوطي ليكتفي في الترجمة بما تضمنه اللغة العربية بألفاظها وخصائصها من عراقيل في طريقه رغم أنه ، مع أن كثيراً من ذلك يستمد معناه من البيئة الصحراوية التي نشأت فيها العربية كما يستمد من الحوادث العربية المحضة ، وإنه لمبء أى عبء يحس به من شاء الترجمة الشفافة من أى لغة أجنبية إلى العربية ، بل كان المنفلوطي يضيف إلى العراقيل السابقة عراقيله هو من التشبهات والكنائيات والمجازات والاستعارات العربية التي يستمدّها من أساليب الأقدمين ، وإنها لروايم توارثها العرب لا حقاً عن سابق ، وهي تمت إلى خصائص عربية بدوية وتصبغ الكلام بصيغة عربية بدوية لا تخطر إلا في بال من عاش في هذه البيئة التي نشأت فيها تلك اللغة وتلك الأساليب مما لا يتصوره ذهن غربي ولا يلوكة لسان غربي ولا يوجد في لغة غربية

أما ما كان يضمه المنفلوطي ، فقد كان حرصه فيه على جودة التعبير كما يفهمها هو من حيث البلاغة العربية أكثر منه فيما يترجم ؛ فقد كانت الترجمة تعدّه بالفكر والإحساس ، فلا يبقى له إلا التعبير ، أما ما وضع ، فالفكر والإحساس فيه له وحده . وإنه لفكر ركيك وإحساس إما قار وإما حار ، ولكن المبالغة فيه تبعث الإنسان على السخرية أكثر مما تبمته على المشاركة فيه والعدوى به

رى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني أن الترجمة خير عك للكلام الجليل ، فالجيل في لغة جميل في غيرها ، والردى في لغة ردى في غيرها^(١) ، ونحن مع ذلك نعتقد أن الكلام في

(١) انظر عدد السياسة الأسبوعية الممتاز الذي صدر بمناسبة إستاناد

إمارة الشعر إلى المرحوم أحمد شوقي بك سنة ١٩٢٧

نقله من لغة إلى أخرى يفقد كثيراً من جماله ، ولكن الأفكار والأحاسيس يستطيع نقلها مع المحافظة على جمالها ، وليس يضيع في النقل إلا جمال التعبير

فإذا على الدكتور لو أنه نقل جزءاً مما كتب المنفلوطي إلى لغة أجنبية يعرفها ثم نظر فيه بعد ذلك

أنا واثق أن الدكتور لن يجد بين يديه شيئاً تافهاً أو لاشئاً ، لأن جودة التعبير هي أبرز فضائل المنفلوطي ، وهي شيء يضيع أثناء النقل ، فلا يبقى له إلا الفكرة أو الإحساس ، وإنهما شيئان تافهان - هذا إذا كانت هناك فكرة وكان إحساس

وقد لاحظنا أننا نتكلم عن أسلوب التفكير وأسلوب التعبير ، فلنلاحظ أنه كلما كانت الفكرة أو الإحساس أو الصورة أدنى إلى السذاجة كان التعبير عنها أيسر ، فإذا كان المنفلوطي أيسر فهماً من الرافعي والزيات وغيرهما ؛ فصدر ذلك أنه لا يتعمق في فكره كما يتعمقون ، ولا يرهف إحساسه ويصدق كما يرهفون ويصدقون ، ولا يجهد نفسه ليرتقي إلى آفاق الفكر العليا والمثل الإنسانية الرفيعة كما يجهدون ويرتقون

والصبي إذا استطاع أن يعبر الجدول قفراً دون أن يصيبه البلبل ليس له أن يفخر على الرجل إذ يعجز عن عبور النهر لإسباحة فيقاسي ما يقاسي في عبوره من هول الأمواج والتيارات ووحوش الماء ، ولا ينال ما يريد إلا بعد أن يأخذ منه النصب كل مأخذ ويلقي من المتاعب ما لا يخطر للصبي على بال ، وما على الصبي إذا شاء الفخر إلا أن يلقي بنفسه في النهر كالرجل وسيعرف أنه ليس الجدول كأنهر

من أجل هذا نرى أن المنفلوطي ليس من رجال التيار الثاني ، فلا يجوز بحال أن نرى ما رأى الدكتور من أن التيار الثاني قد ابتدأ به ، ومن أجل هذا كان المنفلوطي من رجال التيار الأول ، بل إنه لأصل فيه من بعض من يظنهم الدكتور أصلاء فيه ، وخاصة الرافعي وعلى وجه أخص الزيات ؛ فإن الزيات أدنى منه إلى رجال التيار الثاني وأشباه بهم منه

ولعلنا هم الزيات على أعقد مما اضطرب فيه المنفلوطي من المشاكل الفكرية ، ومع محافظته على أطراف آرائه واتزان خطاه

وصفاء فكره وخصائص شخصيته - استطاع أن يحتفظ لتعبيره بطارته وأناقته وإشراقه على النحو الذي يفهمه من بلاغة أسلوب التعبير في اللغة العربية ، كما أبان لنا عنه في مقالاته حين تمرض للدفاع عن البلاغة

وإنه ليبلغ من بلاغة التعبير ما يريدون أن ينسى أو ينسيك المشكلة التي يعالجها ، أو يخدعك بجمال الصياغة عن الموضوع الذي يتحدثك به ، وما هكذا المنفلوطي ؛ فإنه ليبلغ منه الحرص على جودة التعبير أحياناً مبلغاً يخرج به حتى من رجال التيار الأول المحفظين بجمال الصياغة ، مع احتفاظهم بوضوح شخصيتهم وخصائص أزجتهم والصدق في إحساسهم والجد في تفكيرهم - وبدنيه إلى الفئة الذين كل همهم أن يخدعوك عن ثقافتهم بحيلة لفظية زائفة كرجال المصور الإسلامية المتأخرة أمثال الحريري وابن زيدون والقاضي الفاضل والوطواط وابن نباتة والصفدي وابن حبيب الحلبي والجبرتي والشرقاوي وغيرهم ممن تخلو كتاباتهم الأدبية من كل فكر جاد وإحساس صادق . ونقول بدنيه منهم ولا نقول يضمه فيهم ، لأن المنفلوطي - مهما يصف - لن ينحط حتى يكون مثلهم ، وإن يتأفت حتى يبلغ مبلغهم من الفهاة والسخافة والفسولة ، ولكنه كثيراً ما نرى مثل نزعهم ، وإن كان أرفع منهم أفقاً وأقوم فكراً وأصدق حساً ، فظهر كالتمهيد مثلهم ، ولو أن شعبذته من صنف أرق وأدق وأعمق المنفلوطي من رجال التيار الأول ، وليس أفضل رجاله ، وإن كان من أفضلهم ، ونحن نظلمه حين نخرجه عن أشباهه إلى غير أشباهه ؛ فلنضمه حيث وضعه الله ووضعته ملكاته ومؤهلاته وتربيته وثقافته ، وبهذا نوفيهِ حقه ونعرف له فضله ، وإنه لفضل عظيم . . .

ووداعاً ياسيدي الدكتور إلى أن نلتقي في مقال آخر نجيب به عن هذا السؤال : آلمنفلوطي - كما قلت أنت - الكاتب الذي غذى أجيال الشباب الناهضة أجل الغذاء ، وبلغ من التأثير في نفوسهم ما لم يكذب يبلغه كاتب آخر ؟

وإليك مني خالص تحياتي وتبجلاتي

محمد خليفة التونسي

(سماط)

٣ - فساد الطريقة

في كتاب النثر الفني
للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

سورة الفهرام

من عجيب عيوب الكتاب سوء فهم صاحبه للنصوص تعرض لها ؛ فإن أقل ما ينتظر من أديب متخصص ألا يخطئ معنى نص إن عرض له في بحث ؛ فإذا هو أخطأ كما أخطأ صاحب الكتاب كان ذلك دليل نقص في الفهم أو الفكر أو نقص في الإخلاص للحق الذي زعم أنه يبحث عنه . ونحن موردون لهذه الظاهرة في الكتاب أمثلة شتى تختلف في أهميتها وتنفق في دلالتها

وأول ما نذكر من ذلك موقفه من الآية الكريمة : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » ؛ فقد احتج بها لنفسه على المسيو مرسية ، كما سبق أن أشرنا في بعض ما سبق من الكتابات . المسيو مرسية ينكر إنكاراً مطلقاً أن يكون في العصر الجاهلي نثر فني أو مؤلفات نثرية ، وصاحب الكتاب يزعم أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية . وحجة المسيو مرسية أنه لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها ، كما هو الشأن في آثار الهند والفرس والروم . وحجة زكي مبارك أن فقدان تلك الآثار لا يكفي لإنكار أنها كانت موجودة ، وأن القرآن يشير إلى أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية لم يطلع عليها النبي ، فيهم بتلفيق القرآن مما قرأ فيها « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » كما يستشهد صاحب الكتاب

والآية الكريمة لا تدل على شيء مما ذهب إليه زكي مبارك لأن الحجة فيها تصدق بأمية الرسول صلوات الله عليه مع عدم وجود الكتب ، كما تصدق بأمية الرسول مع وجود بعض الكتب . ووجود بعض الكتب يصدق بوجود التوراة التي كان معروفاً أنها موجودة ، وحاكم الرسول أهل الكتاب إليها في أكثر من حادثة . فاستشهاد صاحب النثر الفني بالآية على وجود كتب دينية وأدبية لعرب الجاهلية تمسفو تصيد للدليل .

فهو قد جرى مع الهوى إن كان قد فهم الآية ، وهو لم يفهم الآية إن كان لم يجر مع الهوى . وقد كان واجباً عليه إن كان يبحث للحق لا للهوى أن يقارن هذه الآية بأمثالها من القرآن ليفسر بعضها ببعض ، ولينظر هل تنصرف الآيات الأخرى فيما ذهب إليه ؛ ولو فعل لواجهته آيات عدة كلها تشهد ضده : مثل قوله تعالى « أم آتيناكم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون »^(١)

وقوله تعالى : « ابتوني بكتاب من قبل هذا أو أنارة من علم إن كنتم صادقين »^(٢)

وقوله تعالى : « أم لكم سلطان مبين . فائتوا بكتابكم إن كنتم صادقين »^(٣)

وقوله تعالى « أم لكم كتاب فيه تدرسون »^(٤)

وقوله تعالى : « وما آتيناكم من كتب يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذر »^(٥)

فهذه كلها آيات تدل على عكس ما فهم زكي مبارك من الآية التي استشهد بها من سورة العنكبوت وأخطأ فذكر أنها من سورة القصص ؛ والآيات التي أوردناها تتدرج في تعميم النفي ، نفي ما ذهب إليه زكي مبارك حتى لا تدع الآيات الأخيرة منها عند المسترشد بالقرآن شكاً في أن الجاهليين لم يكن لديهم كتب تدرس في الدين أو في الأدب . وهذا يتفق مع وصف الله إياهم بالأميين في قوله سبحانه من سورة الجمعة : (هو الذي يمث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ؛ كما يتفق مع الحديث الصحيح : نحن أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا . فهذه كلها نصوص تشهد على صاحب النثر الفني أنه لم يفهم آية سورة العنكبوت ، وتتركه كالفينة على اليس ليس له إلى ما يريد من سبيل

هذا مثل من سوء فهم صاحب الكتاب وفساد طريقته ، أو من مجزئه حين يتطلب منه البحث شيئاً من التحقيق . ومثل آخر هو أعجب من هذا وأقبح ، موقفه من آية أخرى ، آية سورة هود . فإنه بعد أن أبدأ وأعاد في أن القرآن من جنس كلام العرب وجوهره ومعناه ، لا يمتاز — زعم — بالأسلوب ولكن بقوة المعنى وقوة الروح ، أراد أن يفخر لماذا لم يأتوا بشيء من مثله فقال :

(١) سورة الزخرف (٢) الأحقاف (٣) الصافات (٤) الفم (٥) سبأ

« القرآن نفسه فصل في هذه المسألة حين قال (فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) . فلتأمل جيداً عبارة (إن كنتم صادقين) ففيها الجواب كل الجواب . وهل كان في مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه مواطنهم وزعيمهم وسيدهم محمد بن عبد الله الذي صدقت كلماتهم فيه قبل نبوته حيث لقبوه بالصادق الأمين ؟ »

وهذا الكلام من صاحب الكتاب فيه أكثر من عجيبة واحدة فإن قوله « زعيمهم وسيدهم الخ » خلط بين حال النبي بعد فتح مكة وحاله قبل فتحها ، قبل الهجرة ؛ فإن الآية التي ذكر من سورة هود ، وسورة هود مكية أي نزلت قبل الهجرة . ولم يكن عدد المسلمين قبل الهجرة يزيد على بضعة مئات إن كان بلغها ، فلم يكن للنبي صلى الله عليه زعامة على أهل مكة بل العرب إذ ذاك ولا سيادة . فصاحب الكتاب إما أن يكون على جهل بالآية متى نزلت ، وإما أن يكون أراد انتقاء التهمة عند الناس وفي قوله : « وهل كان في مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه مواطنهم الخ » عجيبة أخرى ، لأن فيه إشارة خفية أو ظاهرة إلى أن محمداً وصل إلى القرآن من نفسه بصدقه الذي عرفوه فيه قبل نبوته ، ولما لم يكونوا مثله في الصدق لم يستطيعوا أن يأتوا بقرآن كقرآنه ، ولو كانوا مثله في الصدق لاستطاعوا . وإذا كان العرب جميعاً لم يكونوا على مثل صدق محمد قبل نبوته ، فليس من الممتنع عقلاً أن يكون بعضهم كان على مثل صدقه ذلك . فكلام صاحب الكتاب هذا يترك الباب مفتوحاً لإتيان بعض العرب بمثل القرآن ، من غير أن يفسر لماذا لم يأت ذلك البعض بمثله

ولا يتبين ما وراء هذا الكلام لصاحب الكتاب إلا إذا قورن بقوله من مناظرة له في كلية الآداب : « فيكم من قرأ القرآن وفيكم من قرأ التوراة وفيكم من قرأ الإنجيل ... وهل فيكم من ينكر أن من أعظم الجوانب في تلك الكتب هي الجوانب الخاصة بالتشريع ؟ ولئن توضع قواعد التشريع إذا اطمان الأنبياء إلى أن المجتمع في أمان من شر الفساد والاحلال » وفي قوله : « إذا اطمان الأنبياء » الدليل كل الدليل إلى رأى صاحب الكتاب في قواعد التشريع في القرآن والتوراة والإنجيل هل هي من وضع الأنبياء أو من عند الله . ومن هنا يتبين ماذا

أراد بقوله : « وهل كان في مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء » إلى آخر ما قال تفسيراً لعدم استطاعتهم الإتيان بمثل القرآن على أن همنا الآن ليس هو العودة إلى تبيان رأى صاحب الكتاب في القرآن إن هو ؛ فهذا إنما جاء عرضاً ، ولولا ما جاء متعلقاً به في الشاهد الذي أوردناه من كلام صاحب الكتاب ما عرجنا عليه . إنما همنا أن ندل على عجيب سوء فهم صاحب الكتاب للآية التي أورد بعضها من سورة هود . وسوء فهمه يتجلى في سمحه (إن كنتم صادقين) في الآية الكريمة على الصدق الخاطئ لا على الصدق الإخباري في قول خاص قد قالوه ، كما يتجلى في زعمه أن في هذه الكلمات الثلاث ، بهذا المعنى وعلى هذا الوجه ، الجواب كل الجواب على سؤال السائل : لماذا لم يأت العرب بمثل القرآن وهو من جنس كلامهم ، لا يمتاز عنه بأسلوب ، ولكن بقوة المعنى والروح . ونعني الامتياز في الأسلوب يستلزم طبعاً نفي الامتياز بقوة الروح ، كما أن إثبات قوة الروح يستلزم إثبات قوة الأسلوب لو كان صاحب الكتاب يعرف مظاهر قوة الروح في الكلام . ولكنه مشغول عن كل هذا بظنه أن المسألة مسألة صدق معنوي روحي لحسب ، فلو صدق للعرب مثل صدق محمد لجاءوا بمثل القرآن . وهذا طبعاً يترك الباب مفتوحاً للإنسانية في مستقبل الزمن وحاضره أن تأتي بمثل القرآن إذا وجد فيها من يبلغ من الصدق المبالغ المطلوب !

ولسنا ندري كيف خفي على هذا الرجل أن الصدق على هذا الوجه يفسد النص الذي ذكره من الآية الكريمة ، ويدخل عليه من الخلل والتناقض ما لا يحيط به ، إذ بصير معنى ما اقتضب من الآية هو : فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كان خلقكم الصدق في القول والعمل ! وواضح أن فعل الشرط هو مدار التمجيز لعدم توفره فيهم ، ولو توفروا لاستطاعوا أن يأتوا بما طلب منهم أن يأتوا به . فيكون المعنى على فهم صاحب الكتاب أنهم لو كانوا على خلق من الصدق ، وطبع من محبة الحق والبصر به ، لاستطاعوا أن يفتروا عشر سور من مثل القرآن ! وما دام الصدق المشروط قد توفروا في محمد إلى حد لم يتوفر فيهم ، فمحمد استطاع أن يفتري كل القرآن على فهم صاحب الكتاب . ونعوذ بالله من الخذلان !

طبعاً لم يفصل القرآن في الموضوع هذا الفصل المطابق لفهم زكي مبارك أو الموافق لوحى شيطانه . وإن فهماً يخرج



من رأيي في شيء . وبعد ، فقد تفضلت مجلة الرسالة -
منبر الحق - فأفسحت لي من صدرها مكاناً أنشر فيه
خطابي إليك الذي أبيت نشره ثم أعقب على الرد الذي
ظهر في عدد يوليو سنة ٩٤٤ من مجلة المقتطف

أما خطابي فنصه :

القاهرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٤٤

سيدى المحترم الأستاذ بشر فارس

قرأت اليوم في مجلة المقتطف كلمة عن كتيبى « الإسلام
والفنون الجميلة » وإننى لأشكر لك عنايتك بتلك الرسالة الصغيرة ،
ولشد ما كنت أحب أن أقف عند حد هذا الشكر لا أنعمده ،
لولا أنك يا سيدى لم تسكن موقفاً في اختيار الناقد الذى عهدت
إليه بنقد تلك الرسالة وتعريف القراء بها ، وأغلب الظن أن
ناقدك المحترم ليس من الاختصاصيين في موضوع الرسالة بدليل
أنه لم يستطع صبراً على قراءتها على صغر حجمها ، ولم ينفذ إلى
ما تضمنته من آراء حتى يناقشها ليهدمها أو يمد لها أو يؤيدها
أو يأتي في الموضوع بمجديد ، لا سيما والبحث حديث لم يتجاوز

البحاثه مؤداه أن تخلقههم بالصدق يستلزم مقدرتهم على الإتيان بمثل
القرآن ، فإذا لم يقدرُوا فهم مفلطرون على الكذب . كأن خلق
الكذب والعجز عن افتراء القرآن متلازمان ، كما أن خلق الصدق
والقدرة على افترائه متلازمان كذلك . وقد شهد صاحب الكتاب
للنبي بالصدق فطرة وسجية ، فقد شهد له إذن بالقدرة على مثل
القرآن ، أو بالأحرى شهد عليه - حاشاه صلى الله عليه - أنه افترى
القرآن على الله كما هو لازم منطق الآية في فهم صاحب الكتاب .
أقد جئنا بالآية مثلاً على النقص البالغ في مقدرة صاحب
الكتاب على الفهم ، فإذا بالتحليل المنطوق لفهم صاحب الكتاب
الآية يؤدى إلى أن صدق محمد يقتضى في رأى صاحب الكتاب
أن يكون القرآن لمحمد افتراء على الله . وخشى صاحب الكتاب
وخسر أى الوجهين فضل أو أى النتيجة اختار

هذا عجب من سوء فهم صاحب الكتاب لآيتين من كلام الله ،
وسترى عجباً من سوء فهمه لبعض كلام الناس

محمد أحمد الفيلسوف

إلى الأستاذ بشر فارس

قدمت لك رسالتى في « الإسلام والفنون الجميلة » ، وكان
جيداً منك أن عرفت بها قراء المقتطف ، ولكن الذى تولى عنك
التعريف - في عدد يونيو سنة ٩٤٤ ص ٨٣ - لم يلترم جانب
الصدق في مهمته ، بل راح يهتمنى في جرأة غريبة بخيانة الأمانة
العلمية ، فكتبت إليك لترد الحق إلى نصابه وطلبت إليك أن
تنشر ردى ، كما نشرت من قبل كلمته كما يقضى بذلك العدل
والمنطق السليم ، ولكنك لم تفعل ، فلا نشرت خطابى كما هو ،
ولا كنت أميناً في تلخيصه كما ينبغي ، بل اخترت - أو اختار
صاحب الإشارة - منه فقرات لا تصور رأيي على حقيقته ،
واستباح لنفسه أن يرد على ذلك الذى اختاره من خطابى ،
واستبحت لنفسك أن تنشر رده لتوهم القراء أنه رأيي وما هو

المحكم من القول عن إحكامه هذا الإخراج لهو فهم مختل بالغ
الاختلال . وإذا قرأت الآية تامة ، لا كما ابتسرها لك زكى مبارك
لفرض في نفسه وجدت المعنى نيراً واضحاً لا عوج فيه ، والحجة
مستقيمة ملزمة لا خلل فيها

إن الآية هي : (أم يقولون افتراء ، قل فائتوا بمثل سور
مثله مفتريات ، وادعوا من استطعم من دون الله إن كنتم
صادقين) . والتليذ المبتدى إذا قرأ الآية تامة هكذا يدرك حالاً
أن (إن كنتم صادقين) معناها إن كنتم صادقين في قولكم إن
محمد افتراء ، لا كما زعم هذا الباحث المتخصص من أن معناها
إن كنتم مثل محمد مطبوعين على الصدق مفلطرون على محبة الحق
والفرق بين المعنيين هو الفرق بين الحق والباطل ، وبين
النور والظلمات . ألا ترى أن ظاهر الآية الذى لا يمكن أن
يخفى حتى على المبتدئين هو أن صدقهم في دعواهم يستلزم قدرتهم على
الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدرُوا فهم كاذبون في ربههم النبي
بافتراء القرآن على الله ؛ في حين أن ما فهمه زكى مبارك الأديب

الفكرة الكامنة وراءه

وبعد فإنني أعتقد أن من حق عليك - يا سيدي الأستاذ - ومن حق المكانة العلمية السامية التي تتمتع بها مجلة المقتطف ، بل ومن حق الأمانة العلمية التي تشدق بها حضرة ناقدك المحترم ونسبها في نقده أن تنشر هذه الكلمة في نفس الموضع الذي نشرت فيه نقده في أول عدد يسدر من المجلة لترد الحق إلى نصابه . ولك مني بعد ذلك أطيب التحيات وخالص الاحترام .

محمد هيب العزيب مرزوق

* * *

وأما تعقيبى على الرد الذى نشر في عدد شهر يوليو سنة ٩٤٤ ص ١٩٠ من المقتطف فهو أنى ما زلت أعتقد من « صاحب الإشارة » ليس من الاختصاصيين في موضوع الرسالة ، ولا يستطيع أن يستر دعواه بقوله إنه « لم ير مجالاً لمناقشة الآراء وإنما على حسن عرضها ليست على خطر ولا جدة » . ولو كان حقاً من رجال هذا الموضوع لناقش ولو رأياً واحداً من الآراء الكثيرة التي تضمنتها . على أنى لا أعيب عليه هذا قط ولا أطلبه بأن يكون من الاختصاصيين ، وإنما أطلبه بأن يكون أميناً في التعريف بما يتصدى له من كتب وأبحاث ، مخلصاً فيما يتولاه من هذا العمل ، مدققاً فيما يصدر عنه من أحكام ، لا سيما إذا كانت تمس الآخرين . وأما قصة « الكليشيات » فأظنه قد هز عليه أن يعود ، إلى الحق مع أن الرجوع إليه - كما يعلم - من أعظم الفضائل . فعندما وضعت إصبعه على المكان الذى يرى فيه جليلاً أنى شديد الحرص على الأمانة العلمية راح يستر تراجعهم بقوله : « بل أريد المصدر تحت الصورة » ، ومع أنى فعلت هذا فعلاً عند ما نشرت البحث في مجلة الرسالة (راجع الأعداد ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤١) إلا أنى لم أشأ أن أشوه جمال الصور في كتابى بذكر مراجعها ووصفها على نفس الورق المصقول تحت الصورة بل آثرت تحميقاً للذوق الجليل أن أجمل وصف اللوحات ومراجعها في مكان واضح في الكتاب لا يخطئه إلا مهملاً أو مغرضاً ، وكلاهما لا يقام لحكمه وزن .

محمد هيب العزيب مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

الذين كتبوا فيه عدد أصابع اليد الواحد ؛ كما ذكرت في المقدمة وناقذك المحترم ، يا سيدي ، كذلك ليس من أهل النظر وأعداء الهوى كما تريد له أن يكون ، فلقد أثبت بما كتبه أنه وقف عند الصفحة الثالثة من الرسالة التي تتضمن ثبوتاً بالمحتويات ولم يتجاوزها إلا إلى الصور ليلقى عليها نظرة عابرة ، وليته قرأ هذه الصفحة الواحدة بإمعان ، بل تسرع فأخطأ في نقل بعض ما بها . إذ ذكر في نقده « النقابات المساعدة » وحقيقتها « النقابات الإسلامية » ، وهو بعد هذا لم يظن إلى الصفحات الثمانية التي خلصت فيها البحث باللغة الإنجليزية ، فلم يشر إليها ولم تدخل في حسابه الذى توج به نقده إذ ذكر أن صفحات الرسالة ٣٢ (كما هو وارد في الصفحة الثالثة) بينهما في الحقيقة ٤٠ صفحة ، وأما الصور ، فإن نظارته السريعة إليها قد دفعته إلى الظن بأنني اكتفيت بتلك الكلمة التي قصدت بها إيضاح الفكرة ، فحسب ، وجملة يسارع في اتهامى بما أحرص عليه أشد الحرص ، ولو كان حضرته حريصاً على الأمانة العلمية حرصى عليها لقرأ الرسالة كما يقرأ القاضى النزبه أوراق القضية قبل الحكم فيها ، وعندئذ يجد أنى ذكرت في الصفحة السابعة والعشرين أسماء الكتب التي نقلت عنها الصور وأسماء مؤلفيها . بقيت مسألة أسف حضرة الناقد ، لأنى نقلت إحدى عشرة صورة بحجمها من كتب نشرت قبل الآن ، ثم أمنتني في أن أعنى بشرصور جديدة ، وفي الحق إننى لأسف له ، راث لحاله إذ كشف عن سطحيته إن صح هذا التعبير ، لأنه لو كان قرأ البحث وأدركه حق الإدراك لوجد أنه يدور حول موقف الإسلام من الفنون الجميلة ، وبيان هذا الموقف لا يتطلب أكثر من توضيح الفكرة بأى وسيلة إيضاح - بسورة ، فن الإسراف حقاً ألا يستفيد الإنسان من « كليشيات » أنفقت الدولة على صنع مظهرها ، طالما أن ذلك لا يؤثر في جوهر الموضوع ويكشف عن الفكرة ببلاء . ولو كان البحث في الفنون الجميلة نفسها لكان الناقد على حق في مطالبته بصور جديدة ، لأن المقصود عندئذ يكون بيان الفن وتنوعه لا بيان

وبل الفلسفة من الناس ا

يظهر أن القدماء كانوا على حق حين قال قائدهم : « لا تديعوا الحكمة بين غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم » . وقد كنت إلى حين قريب أجهل قيمة الشطر الأول من هذه الحكمة ، حتى ورد إلى خطاب غريب من أديب لا أعرفه ، يتهمني فيه بالكفر والإلحاد (بطبيعة الحال) ، ويسفه فيه بعض آرائي « الفاسدة المضلة » وأنا أعترف لهذا الأديب الفاضل بأنني قد أخطأت وأساءت ، ولكنني أرجو أن يعرف أن الكلمة من صاحبها هي بمعناها في نفسه لا بمعناها في نفسها . فإذا كانت كلمتي الأخيرة تنطوي على شيء من هذا الذي توهمه أديبنا الفاضل ، فلمله مما يشفع لي أن أكون قد أسأت التعبير ، أو أن يكون هو قد أساء الفهم ! وليطمئن صاحبنا الهام ، فإنه لن تكون لنا رجعة إلى هذا الموضوع بعد اليوم ...

زكوة بابراهيم

حاشية : كنت قد وعدت الأستاذ الفاضل دبري خشيبة بأن أمرض لثقت ابن تيمية ، وأعقب على اعتراضاته في كلمة أنشرها بالرسالة ، ولكن يظهر أن المجال لا يتسع لذلك ، فضلاً عن أن الوقت لم يحسن بعد للكلام في مثل هذه المسائل عندنا ، فأرجو المذرة : وعسى أن أرسل البحث بكلمة للأستاذ الفاضل حتى يطالع عليه ...

(ز . م .)

إلى الركفور محرم منور

ذكرت في مقال « حول بحث القديم » في عدد الرسالة ٥٧٧ خمس ملاحظات لاحظتها على مقالك « بحث القديم » ، ولما تنازلت عدد الرسالة الأخير وجدتك قد نشرت رداً لم أفد منه إلا أنك أحياناً تتجلى عما يليق بالعلماء إلى ما لا يليق . فقد بدأت ردك بأنك تظن أنني طالب ثم جازمت بأنني طالب . ولست أدري أولاً ماذا يعنيك إن كنت طالباً أم لم أكن ، ولست أدري ثانياً ماذا

حملك على الاتجاه إلى شخصي ولم أقدم إليك إلا برأي

لقد واجهتكم بخمس ملاحظات فانظر كيف أجبت عنها
لقد تركت الرد على ثلاث ملاحظات لاحظتها عليك لم
تعرض لها لتوقع في وهم القراء أنك أضعفتني بما أجبت عنه وذلك
ما لا أَرْضاه لك ، فلتجيب عنها إن كنت تستطيع .

وقد تعرضت للملاحظتين : إحداها تاريخ الطباعة في مصر
في عهد محمد علي ، وقد لجأت في تعرضك لها إلى المراوغة والطمع ،
ثم قلت إن الكتب التي بين يدي كاذبة ، ولم تأت ببرهان
كمدارك

والملاحظة الثانية قد رجعت فيها إلى رأيي ، وهو أن جمعية
المعارف ومطبعها اللتين أسسهما المولى يحيى ترجمان إلى سنة ١٨٦٧ ،
لا كما قلت أنت بأسلوب المراءوغ المسكار إنها لا ترجع إلى أبعد
من سنة ١٨٦٠ ، وقد اعتمدت أنا على ما ورد بنصه في كتاب
« الإسلام والتجديد » للدكتور تشارلز آدمس ، وقد أشرت إليه
في هامش ردي ، ومع ذلك زعم أن هذا المصدر مدرسي . فقي أي
مدرسة في مصر يدرس هذا الكتاب ؟ وإن جورجي زيدان
الذي استشهد برأيه يؤيدني ولا يؤيدك

ثم زعمت كذباً على أنني أوافقك في أن رفاعة الطهطاوي
بعث القديم بحكم ثقافته المستنيرة وأنا لم أقل ذلك ، ولكنني قلت
اعتماداً على أستاذك وأستاذي أحمد أمين بك وهو يترجمه إن
رفاعة كان مقلداً المستشرقين ده ساس وكوزن في بعث القديم ،
ولقد نسيت أو تناسيت المصادر ، وما كان لك أن تنسي
المصادر ولا أن تناساها ، وذكرت أسماء بروكلمان وشيخو
وزيدان والرافعي ، ولم تذكر ما يؤيدك . فهل تريد أن
تقول إنك قرأت ما قالوا في ذلك وكفى . إن يكن ذلك
فما تعرضنا لك فيه .

محمد خليفة التونسي

(سمالوط)